الخطوات الأساسية في البحوث الاجتماعية

الدكتورة: سامية حميدي، جامعة بسكرة، الجزائر

الباحث: عبد المليك حميدي، جامعة المسيلة

الملخص

لا يخفى على أي ناشط في ميدان البحث العلمي أن دراسته لأي ظاهرة تتطلب منه تتبع خطوات أساسية حتى تصح الدراسة التي قرر إنجازها، ولذلك فإن معرفته بهذه الخطوات وتحكمه الجيد فيها أثناء عملية التطبيق يعد من أهم أساسيات نجاح البحث العلمي، خاصة أن الباحث يسعى من خلال بحثه للوصول إلى نتائج علمية دقيقة.سيكون هذا العرض موجزا لأن هذه الورقة العلمية لا تتسع إلى التفصيل بشكل موسع في هذه الخطوات، لذلك سنحاول من خلال هذا المقال العلمي تحديد بعض الخطوات الأساسية المتضمنة في المرحلتين الأولى والثانية من مراحل البحث العلمي في العلوم الاجتماعية.

Summary

There is no doubt that the scientific research to any phenomenon requires of the researcher to follow the basic steps for the accuracy of the study. Knowing these steps and enables the researcher them well during the application process is one of the most important basics success of scientific research, especially that the researcher seeks access to accurate scientific results. This article will introduce those steps briefly away from the detail, by identifying some of the basic steps in the first and second phases of the stages of scientific research in the social sciences.

مقدّمة:

اكتسى البحث العلمي في الآونة الأخيرة أهمية بالغة بسبب تطور المجتمعات عامة والعلوم بشكل خاص، مما دفع العديد من الهيئات الحكومية والخاصة على حد سواء إلى إعطاء أهمية وقيمة كبيرتين للبحوث العلمية المتخصصة رغبة منها في المساهمة في الدفع بعجلة التقدم، وذلك بعد أن وصلت إلى يقين مفاده أن تطور المجتمعات وتقدمها لا يمكنه أن يتحقق إلا بالاهتمام بالطاقات الفكرية والعلمية لنخبها وذلك في سعيها الدائم لتحقيق رفاهية الشعوب.

لقد أصبحنا في الوقت الراهن في حاجة ماسة إلى الدراسات والبحوث العلمية كون الجميع يضع نصب عينيه الوصول إلى المعرفة الحقيقية بهدف فهم سيرورة المجتمعات، وهذا المسعى لن يتحقق ما لم نعتمد منهجية علمية سليمة نتبعها من خلال خطوات أساسية لا يمكن لأي باحث علمي الاستغناء عنها فهي الحجر الأساس لأي دراسة علمية يرجو صاحبها الجدية والدقة، وهذا ما سنتناوله في العناصر المكونة لهذا المقال العلمي.

أولا/ الإشكاليـــــة

حسب قاموس **le petit robert** فإن الإشكالية "هي فن علم طرح المشكلات، ويتمثل دورها في أنها تعطي الفرصة للباحث ليحدد المسائل الجوهرية في بحثه من تلك التي يعتبرها ثانوية"[1]، كما تحدد لك بكل وضوح الأسئلة التي تود أن تجد لها أجوبة، وضرورة عرضها كتابيا وبشكل منسجم يقودك إلى تحديد أفكارك بشكل دقيق وهي الفرصة التي تعرف فيها حقيقة ما تريد البحث عنه.

أما موريس أنجرس فيرى أن إشكالية البحث هي كل ما من شأنه أن يثير تساؤلا أي كل ما يبدو عليه أنه يتطلب الدراسة. وتعني صياغة الإشكالية تعريف المشكلة وتحديدها بضبط معالمها ووضعها في مجراها الفكري، أي أن صياغة الإشكالية تؤدي إلى طرح تساؤل حول واقع نريد معرفته في إطار يسمح ببحثه

إمبريقيا ومن ثمة فإن المفاهيم والمصطلحات المستعملة يجب أن تحدد بشكل يمكن من تحقيقها عمليا، أي إلى الحد الذي يستطيع فيه الباحث ترجمتها إلى أفعال يمكن ملاحظتها في الواقع.

يضع بعض الباحثين تفرقة بين المشكلة والإشكالية نحصرها فيما يلي:

أ) قد يبدو مصطلح المشكلة فضفاضا ومتسعا ولا يمكن التحكم فيه بصورة دقيقة لذلك يلجأ الباحثون إلى التدقيق أكثر، فيرون أن المشكلة تتحول إلى إشكالية عندما يصبح متعذرا الإلمام بكل جوانب المشكلة على المستوى التصوري والعلمي، حيث يبدو التحكم في المشكلة وتعريفها وتحديد معالمها وضبطها أمرا صعبا، بل ومتعذرا، لذلك تصبح الإشكالية هي المصطلح الدقيق الذي يلجأ إليه الباحثون.[2]

ب) الإشكالية هي المدخل النظري الذي يقرر الباحث تبنيه لمعالجة المشكلة التي طرحت في سؤال البداية، فهي أكثر تحديدا وأكثر دقة وإيجازا وأدق معنى من مشكلة البحث التي تبدو أنها فضفاضة وغير دقيقة.

ت) يلجأ فريق آخر من الباحثين إلى التفرقة بين الإشكالية والمشكلة، حيث يرون أن موضوع البحث عادة لا يشرح الإشكالية المراد اختبارها، أي أن الموضوع يظل فضفاضا عاما، يقبل تفسيرات متعددة وتأويلات كثيرة لذلك تأتي الإشكالية لتحسم الارتباك، وتحدد الموقف، وتضيق الموضوع حتى يكون حجم المشكلة في حدود الوقت والإمكانات المادية والبشرية المتاحة والإطلاع على العوائق والصعوبات التي تقف حائلا دون إنجاز البحث. فالإشكالية بهذا المعنى إيجاز لمشكلة البحث بصورة أكثر دقة وضبطا وتحديدا [3].

وتنشأ المشكلات من تفاعل الإنسان مع بيئته، وهذا التفاعل راجع لعوامل تتعلق بالإنسان نفسه وعوامل أيضا تتعلق بالبيئة، والنشاطات التي يمارسها الإنسان في بيئته والخبرات التي يمر بها تعتبر مصادر هامة لتزويده بالمشكلات التي تستحق الدراسة.

أ) **الخبرة العلمية:** يواجه الإنسان في حياته اليومية عدة مواقف وصعوبات تتطلب حلولا ولكن بعض الناس لا يهتمون بهذه المواقف وسرعان ما يتكيفون معها، فتختفي هذه الصعوبات والمواقف، إن هؤلاء الناس لا يهتمون بتحليل المواقف والصعوبات التي يواجهونها. أما إذا وقف الإنسان من هذه المواقف وقفة نقد وفحص وتساؤل عن أسبابها ودوافعها وشعر بالقلق تجاهها فإنه يجد فيها مشكلات تستحق الدراسة.

ب) **القراءات والدراسات:** كثيرا ما نجد في قراءاتنا ودراساتنا مواقف مثيرة لا نستطيع فهمها أو تفسيرها، وكثيرا ما نجد بعض القضايا تقدم إلينا كمسلمات صحيحة دون أن يقدم الكاتب عليها أي دليل، فقد نقرأ كتابا نجد فيه رأيا غامضا، أو نشك في حقيقة مطروحة فيه، أو نتساءل عن طرحه رواية ما، إن هذا الكتاب أثار أمامنا عددا من المواقف أو المشكلات قد نهتم ببعضها فنحاول الوصول إلى حقيقة هذه المواقف فنحاول إثبات خطأ فكرة ما أو إثبات صحتها.

ت) **الدراسات السابقة:** يلجأ الباحثون في مختلف المجالات إلى الأبحاث والدراسات السابقة، حيث يطلعون عليها ويناقشونها ويبحثون في نتائجها وذلك من خلال التوصل إلى مشكلة ما تثير اهتمامهم، هذه الدراسات تعتبر مصدر هام لتزويد الباحثين بمشكلات تستحق الدراسة [(4)].

- **مراحل بناء الإشكالية**

أ) **المرحلة الأولى: مرحلة ضبط وجهات النظر المختلفة حول الموضوع:** في هذه المرحلة على الباحث القيام بتحديد المداخل المتنوعة للإشكالية، وهذا يعني القيام بجرد وإحصاء وجهات النظر المختلفة التي تم اعتمادها، وتعيين نقاط الاختلاف والاتفاق بينها وتوضيح الإطار النظري الذي يستند إليه كل رأي سواء علنا أو بشكل ضمني [(5)].

ب) **المرحلة الثانية: تبني إشكالية:** في هذه المرحلة لابد من تبني إشكالية سواء بتصور إشكالية جديدة، بمعنى صياغة نظرية جديدة خاصة بالباحث، أو بوضع عمله ضمن إطار نظري تم اكتشافه من خلال القراءات السابقة.

ت) **المرحلة الثالثة: تدقيق الإشكالية:** وتعني توضيح طريقة الباحث الشخصية في كيفية عرضه للمشكلة والإجابة عنها، حتى ولو كان قد تبنى مدخلا نظريا تم انتقاؤه مسبقا وبشكل واضح. وتتم هذه المرحلة عمليا بعرض المصطلحات الأساسية والبناء المفاهيمي الذي تقوم عليه الاقتراحات التي تم وضعها للإجابة على سؤال الانطلاق والتي تأخذ شكلها من خلال البناء.

يمكن تلخيص **الخطوات المنهجية المتبعة في صياغة الإشكالية** فيما يلي:

أ) التصريح بالأبعاد التي ستتناولها الدراسة مقابل التي ستستبعدها، مما قد لا يظهر بوضوح في العنوان الرئيسي للبحث، وذلك مع الأخذ بعين الاعتبار مسألة التدرج في الطرح أي الانتقال من العام إلى الخاص، للوصول إلى اختيار تساؤل رئيسي ومركزي (دقيق، واضح ومركز) بالنسبة للموضوع المختار، يعرض من خلال بضعة أسطر الفكرة الأساسية في البحث والتي تسمح مبدئيا بتعميق العنوان وتحديده بدقة أكثر.

ب) توضيح الأسباب والدوافع التي قادت الباحث للقيام بها.

ت) توضيح الجوانب النظرية والتطبيقية المقصودة بالدراسة.

ث) تبيان الفائدة النظرية و/ أو العملية للبحث وأهميته في تطوير جانب معين من جوانب المجتمع أو في حل مشكلة مجتمعية ما.

ج) تحديد الإطار النظري للبحث أي الخلفية النظرية (نظريات، مدارس فكرية) التي يعتمد عليها الباحث مع التبرير.

ثانيا/ الفرضيـــــات

تعتبر الفرضية رأيا أو فكرة تقبل على أنها صحيحة في ضوء ما هو معروف، ومتوفر من حقائق أو معلومات عن ظاهرة معينة. إن مصطلح الفرضية يعني شيئا أقل تأكيدا من الحقيقة العلمية، وكلمة أقل تأكيدا في حد ذاتها تفيد بأن أي افتراض لا يتطرق إلى ذهن الباحث من فراغ أو بطريقة عشوائية، بل يأتي نتيجة بيانات ومعلومات مؤكدة سابقة استنبط الباحث افتراضا منها، فالفرضية العلمية ليس مجرد تخمين لأن التخمين لا يتعدى مجرد أفكار مبدئية تتولد في عقل الفرد عن طريق الملاحظة العابرة، بينما تبنى الفرضية على المعرفة العلمية والدراسة البحثية.

يمكن القول عن الفرضية أنها الحل المحتمل الذي يعتقد به الباحث فقط حتى يتم تجميع براهينه ويتخذ قرارا بصحته أو عدم صحته، وهي قابلة للبرهان، كما تساعد الفرضية في ترتيب وتنظيم المعلومات المحيطة بموضوع البحث [6] .

كما تعرف الفرضية على أنها عبارة عن جملة تعبر عن تخمين أو استنتاج ذكي يتوصل إليه الباحث بعد أن ينتهي من مراجعة الدراسات السابقة ذات الصلة بمشكلة البحث ويتمسك به بشكل مؤقت حتى نهاية البحث، أي إلى أن يقوم بالتحقق من صحته لقبوله أو رفضه. كما تعرف بأكثر من شكل منها:

أ- حل محتمل لمشكلة البحث.
ب- تخمين ذكي لسبب أو أسباب المشكلة.
ت- رأي مبدئي لحل المشكلة.
ث- إجابة محتملة عن السؤال الذي تمثله المشكلة.

ويستطيع الباحث اشتقاق وصياغة فرضياته من مصادر عديدة أهمها: [7]

أ- المعرفة الشخصية الواسعة للباحث ومدى قدرته على التخيل وتجميع وربط الأفكار مع بعضها البعض في أنماط تفسيرية معقولة.

ب- الملاحظة والتجربة والخبرة العملية خصوصا فيما يتعلق بالمشكلة أو الظاهرة المدروسة.

ت- الدراسات السابقة حول المشكلة أو الظاهرة قيد الدراسة.

- أنواع الفرضيات

أ- **الفرضية البحثية:** وهي التي يضعها الباحث بعد الانتهاء من الدراسة السابقة ليعبر فيها عن النتائج التي يتوقعها لمشكلة البحث بصورة عامة وتصاغ بما يحتمل الصواب أو الخطأ.

مثال: تزداد فاعلية المعلم في التدريس بارتفاع مستوى تأهيله التربوي. هذه فرضية إشكاليتها: **أثر التأهيل التربوي للمعلم على فاعليته في التدريس.**

ب- **الفرضية الإحصائية:** وهي التي تصاغ على شكل جملة خبرية رقمية حول معلمة مجهولة أو أكثر من معالم مجتمع الدراسة تحتمل الصواب أو الخطأ وهي نوعان:

- ✓ **الفرضية الصفرية:** تكون بصياغة الصفر، وهي التي تنص على عدم وجود أثر للمعالجة التجريبية (المتغير المستقل) على المتغير التابع.
- ✓ **الفرضية البديلة:** وهي التي يمكن أن تقبل كبديل للفرضية الصفرية عندما يتم رفض الفرضية الصفرية.

وهناك العديد من المعايير التي يجب اتباعها عند صياغة الفرضية نذكر منها: [8]

أ- أن تصاغ بشكل يعبر عن العلاقة بين متغيرين أو أكثر.

ب- أن تصاغ بصيغة قابلة للاختبار ومتغيراتها معرفة بشكل إجرائي.

ت- أن تصاغ في شكل عبارة تصريحية باستخدام صيغة المضارع وليس الماضي أو المستقبل.

ث- أن تقوم على مبررات كافية مستندة إلى معالجات نظرية أو دراسات سابقة.

-أهميتها

أ- تدعم الإطار النظري والتصوري والفكري للباحث.
ب- تساهم في تصميم الهيكل العام للتقرير النهائي للبحث.
ت- تساعد على حل مشكلة البحث بطريقة علمية سليمة.
ث- الكشف عن الحقائق العلمية.

ثالثا/ التحليل المفهومي (المفاهيم الاساسية في البحث العلمي)

تناول **موريس أنجرس** في كتابه "**منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**"، عملية التحليل المفهومي بشكل جيد، لذلك سنوجز ما قدمه في هذا الصدد. (9)

إن التحليل المفهومي هو سيرورة تدريجية لتجسيد ما نريد ملاحظته في الواقع يبدأ هذا التحليل أثناء شروع الباحث في استخراج المفاهيم من فرضيته أو من هدف بحثه. يستمر هذا التحليل أثناء تفكيك كل مفهوم لاستخراج الأبعاد أو الجوانب التي ستأخذ بعين الاعتبار. ثم يتم تشريح كل بعد وتحويله إلى مؤشرات أو ظواهر قابلة للملاحظة يمكن بعد ذلك أن يصل الباحث إلى تجميع بعض المؤشرات لإيجاد قياس تركيبي وهو ما يسمى بالدليل.

إن بعض الحدود المستعملة لحد الآن في طرح السؤال أو الفرضية أو هدف البحث تأخذ صيغة المفاهيم. هذه الأخيرة ما هي في الواقع إلا تصورات ذهنية لمجموعة متنوعة من الظواهر التي نريد ملاحظتها. ويمكننا أخذ الفرضية الآتية كمثال توضيحي: **موارد الزوجين تحدد سلطتهما العائلية**، فالمفاهيم الرئيسية لهذه الفرضية هي مفردات موارد الزوجين والسلطة العائلية. فالسلطة العائلية هي مفهوم لأنها عبارة عن مختصر مجرد لظواهر عديدة قابلة للملاحظة والتي يمكن أن تمس أخذ القرارات والمقررين المعروفين أو التعود على المهام المنزلية في العائلة، يتعلق الأمر إذن "**بتصور ذهني**" نكونه حول واقع ما. إن كلمة فقير مثلا هي تجريد

يلخص لنا في الواقع عددا من الأشخاص أو الأشياء لهم ما يكفي من السمات المشتركة ويختلفون بالتالي عن الفئات الأخرى من الأشخاص أو الأشياء مما يسهل عملية تجميعهم تحت نفس التسمية. يجمع المفهوم إذن عددا معينا من العناصر في نفس الكلمة أو اللفظ.

وكلما ارتفعت درجة تجريد المفهوم كلما تطلب ذلك القيام بعدد أكبر من عمليات التجسيد للوصول إلى مستوى من الواقع الملحوظ. فمن مفهوم **البكر** يمكننا أن ننتقل وبسرعة إلى التعيين بالرتبة في العائلة. إن الانتقال من المجرد إلى الملموس في هذه الحالة يكون بسيطا نفس الشيء بالنسبة إلى مفهوم **الدخل** يمكن تعيينه بسرعة بواسطة **المعيار النقدي**. قد لا يتم الأمر بنفس السرعة مع مفهوم **الرضا** في العمل مثلا والذي قد يشير إلى كل من المهام المطلوب تنفيذها، العلاقات بالزملاء، بالإدارة المسيرة، بمحيط العمل، أوقات العمل وما إلى ذلك، بالتالي فإن عددا من الوقائع الملموسة تكون مجتمعة تحت لواء هذا المفهوم. إن هذا المجموع المعقد يعطي معنى للمفهوم أثناء تجسيده في الواقع.

بمجرد ما يتم تحديدنا للمفاهيم التي نريد استعمالها نقوم بإعطاء تعريف لكل منها. إن هذه العملية الأولى من التعريف المؤقت للمفاهيم تسمح بتبديد الغموض والشكوك وضبط موضوع البحث مما يسهل العمليات الموالية. يمكننا مثلا في البداية أن نعرف مفهوم **السلطة العائلية** أنه فعل أخذ القرارات الهامة داخل العائلة، إلا أن العمليات التقريبية غير كافية لهذا وبمجرد الانتهاء من التحليل المفهومي ينبغي علينا إعادة النظر لإتمام كل تعريف. لا بد من الإشارة هنا إلى أنه ليس من الضروري أن يتفق الزملاء حول تعاريف هذه المفاهيم التي يجب أن تكون سهلة الفهم بالنسبة إلى الآخرين ولا تترك لديهم أي غموض.

إن ملاحظة الواقع وكذا عناصر النظرية يمكن أن تساعد في تحديد الواقع الذي تتضمنه المفاهيم وتدقيقه. تسمى المفاهيم المستمدة من النظريات العلمية الموجودة "**بالمفاهيم النسقية**" والتي يتم الحصول عليها بواسطة المنهج الاستنباطي، أما تلك التي تسمى "**بالمفاهيم العملية المنعزلة**" فهي خاصة بتلك المفاهيم الناشئة عن

ملاحظة الواقع والتي نتحصل عليها بواسطة المنهج الاستقرائي. إن المفاهيم العملية المنعزلة يصعب فصلها عن الأفكار والأحكام المسبقة إلا أنها تبقى مع ذلك تحتفظ بقيمة علمية مؤكدة نظرا إلى مساهمتها هي الأخرى في تقدم المعرفة العلمية. هذا هو المسار العادي الذي يسلكه البحث الكيفي.

انطلاقا من أن المفهوم هو تصور تجريدي فإن الشروع في تجسيده يتطلب تفكيكه إلى أبعاده المختلفة، وعليه يتعلق الأمر هنا بفحص معانيه العميقة وتقبل فكرة أنه يشير إلى جوانب من الواقع يمكن أن تكون متنوعة إلى أقصى حد. إن هذه الأوجه المختلفة من الواقع هي التي تشكل الأبعاد أو ما يسمى **بمكونات المفهوم**.

يقدم التعريف المؤقت مساعدة قيمة أثناء استخراج أبعاد مفهوم ما. لو بقينا مع فرضيتنا القائلة: " **إن موارد الزوجين تحدد سلطتهما العائلية** " فإننا بذلك نقيم علاقة بين مفهومين رئيسيين هما: **الموارد والسلطة العائلية**. في هذه الحالة يكون في إمكاننا استخراج عدد من الأبعاد لمفهوم موارد الزوجين وذلك انطلاقا من تحديدنا له كمجموع من الإمكانيات سواء كانت ذات صبغة مالية أو فكرية، فيزيقية أو اجتماعية يتمتع بها كل زوج والتي تميزه في الوقت نفسه عن الآخر.

إن هذه الصفات الأربع من الإمكانيات تصبح أبعادا للمفهوم. من جهة أخرى فان مفهوم السلطة العائلية والمعرف بأنه فعل ظاهري لعملية أخذ القرارات الهامة في العائلة يتفكك الى أبعاد مختلفة وذلك حسب ميدان النشاطات العائلية: اقتصادية، منزلية، إجتماعية، رعاية الاطفال وتربيتهم. إن التعريف الاولي للمفهوم هو الذي يقود الى هذه الأبعاد فلو تم تحديد مفهوم السلطة خلافا لذلك فان الأبعاد تكون هي الأخرى مغايرة تماما، لو عرفنا مثلا **مفهوم السلطة العائلية** بأنه يمثل القدرة الشرعية للتصرف داخل العائلة فستكون الأبعاد انعكاسا للميادين المعترف بها من طرف القانون الذي يسمح بممارسة السلطة على اعضاء العائلة.

كل ما هو غير ملاحظ ولا يقبل القياس مباشرة سيبقى من صنف الأبعاد التي تمثل مستوى وسطي بين التصور التجريدي والعام من جهة، أي المفهوم، والواقع الملاحظ من جهة أخرى. يمكن استثنائيا تجزئة هذا المستوى الى أبعاد فرعية تقربنا من الواقع الذي نريد ملاحظته لأنها تقلص اكثر مجال هذا الواقع الذي يشير اليه البعد. إن مفهوم التبادلات مثلا في دراسة حول علاقة الجوار يمكن تفكيكه الى أبعاد حسب نوع التبادلات سواء تمت في شكل منافع أو خدمات أو معلومات. يمكن أن يكون لهذا البعد الأخير أبعادا فرعية إذا ما انصب اهتمامنا على طبيعة المعلومات المتبادلة، إقتصادية، منزلية أو اجتماعية.

رابعا/ المنـــــاهج:

يعرف المنهج لغة على أنه كلمة منهج مأخوذة من اللاتينية من أصل يوناني "**meta**" وهي أمن الطريق بمعنى كيفية التصرف للوصول إلى الهدف.

أما اصطلاحا فهو "الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة". وهو أيضا "الطريق المؤدي إلى الغرض المطلوب خلال المصاعب والعقبات ويعني في الفكر العلمي المعاصر الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة". والمنهج عبارة عن "طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العمل"، ويمكننا القول بأن المنهج "هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة"[(10)] .

أهمية المنهج العلمي

إن مجموع المساعي التي يعتمدها الباحث أو الباحثة تكشف وبمعنى واسع عن تصوره للبحث أو لمنهجيه، كما أن اختيار المنهج لايتحدد بكيفية غامضة ولكنه يكون قائما على اقتراحات تم التفكير فيها ومراجعتها جيدا بحيث تسمح له بتنفيذ خطوات عمله بصفة صارمة بمساعدة الأدوات والوسائل التي تضمن له التجاح، وفي تفس الوقت مدى صحة المسعى أي الطريقة. إن هذين الجانبين أي المنهج

والصحة مترابطان، فإذا لم يكن المسعى منهجيا فان النجاح سيكون سطحيا أو ظاهريا فقط وهنا تكمن أهمية المنهج العلمي [11].

2) أنواع المناهج

أ- **المنهج المقارن:** تعني المقارنة لغة مقابلة الأحداث بعضها ببعض لكشف ما بينها من وجوه شبه أو علاقة، أما اصطلاحا فالمنهج المقارن هو مفهوم مركب من مصطلحين هما: المنهج والمقارنة. فالمنهج هو مجموعة الأطر، والإجراءات، والخطوات التي يضعها الباحث عند دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة، أما المقارنة فتعني تلك العملية التي يتم من خلالها إبراز أو تحديد أوجه الاختلاف، وأوجه الائتلاف بين شيئين متماثلين أو أكثر.

والمنهج المقارن بصفة عامة هو القيام بعملية التناظر أو التقابل بين الأشياء والنظائر بتعبير ابن خلدون، والمقارنة بين خاصيتها، وله مستويات، المستوى التشكيلي أو الخارجي كالأحجام، والألوان، والمسافات، والأعداد، وهناك المستوى الداخلي أو الجوهري وهو المتعلق بمقارنة خواص الظواهر والعناصر الجوهرية فيها، بمعنى أن المقارنة تتناول البنيات الأساسية المكونة للظاهرة، والتعمق وسبر جوهر الظواهر والتمعن فيها" [12].

كما يعرف على أنه طريق لمعالجة الموضوعات ذات الطابع المقارن، أي بيان أوجه الاختلاف وأوجه التشابه بين جزئي الموضوع المبحوث [13].

ب- **المنهج التجريبي**: هو المنهج الذي تتضح فيه معالم الطريقة العلمية في التفكير بصورة علمية لأنه يتضمن تنظيما يجمع البراهين بطريقة تسمح باختيار الفرضيات والأحكام في مختلف العوامل التي يمكن أن تؤثر في الظاهرة موضع الدراسة والوصول إلى العلاقات بين الأسباب والنتائج وتمتاز التجربة العلمية بإمكانية إعادة إجرائها بواسطة أشخاص آخرين مع الوصول إلى النتائج نفسها إذا توحدت الظروف.

ويتميز المنهج التجريبي عن غيره من المناهج بدور متعاظم للباحث لا يقتصر على وصف الوضع الراهن للحدث أو الظاهرة بل يتعداه للتدخل الواضح والمقصود بهدف إعادة تشكيل واقع الظاهرة من خلال استخدام إجراءات أو إحداث تغيرات ومن ثم ملاحظة النتائج بدقة وتحليلها وتفسيرها، وبالتالي فهو محاولة لضبط كل العوامل الأساسية المؤثرة في المتغير أو المتغيرات التابعة في التجربة ما عدا عاملا واحدا يتحكم فيه الباحث ويغيره على نحو معين بقصد تحديد وقياس تأثيره على المتغير أو المتغيرات التابعة. فالمنهج التجريبي إذن يعتمد على التجربة العلمية التي تكشف عن العلاقات السببية بين المتغيرات المختلفة وهذه التجربة تخضع لشروط مضبوطة، ومحددة، مع ملاحظة التغيرات الواقعة في ذات التجربة وتفسيرها". (14)

ج- **المنهج التاريخي**: هو الطريق الذي يتبعه الباحث في جمع معلوماته عن الحقائق والأحداث والحقائق الماضية، وفي فحصها ونقدها وتحليلها والتأكد من صحتها وفي عرضها وترتيبها وتفسيرها واستخلاص التعميمات والنتائج العامة منها والتي لا تقف فائدتها عند فهم أحداث الماضي فحسب بل تتعداه إلى المساعدة في تفسير الأحداث والمشاكل الجارية وفي نوعية التخطيط بالنسبة للمستقبل (15) .

ويقوم المنهج التاريخي على أساس من الفحص الدقيق والنقد الموضوعي للمصادر المختلفة للحقائق التاريخية، ويستعمل في جمع المعلومات ونقدها وترتيبها وتنظيمها وتفسيرها، واستخلاص النتائج العامة منهـا كثيرا من وسائل البحث العلمي وأدواته التي تستخدمها مناهج البحث الأخرى.

ومنهج البحث التاريخي هو المراحل التي يسير خلالها الباحث حتى يبلغ الحقيقة التاريخية ويقدمها إلى المختصين بخاصة والقراء بعامة، وتلخص هذه المراحل في تزويد الباحث نفسه بالثقافة اللازمة له، ثم اختيار موضوع البحث، وجمع الوثائق والمصادر واثبات صحتها، وتعيين شخصية المؤلف وتحديد زمان التدوين ومكانه وتحري نصوص الأصول وتحديد العلاقة بينها، ونقدها نقدا إيجابيا

وسلبيا واثبات الحقائق التاريخية وتنظيمها وترتيبها والاجتهاد فيها وتعليلها، وإنشاء الصيغة التاريخية، ثم عرضها عرضا تاريخيا معقولا. (16)

د- المنهج الوصفي: هو طريقة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محددة لوضعية اجتماعية أو مشكلة اجتماعية، ويرى آخرون أن المنهج الوصفي يعتبر طريقة لوصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كميا عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة (17).

ولا يقتصر المنهج الوصفي المستعمل في المجالات العلمية على الوصف الدقيق للظاهرة المدروسة فحسب بل يتطلب الأمر، بالإضافة إلى وصف الظاهرة، وجمع البيانات عنها ووصف الظروف والممارسات المختلفة تحليل هذه البيانات واستخراج الاستنتاجات، ومقارنة المعطيات وبالتالي التوصل إلى نتائج يمكن تعميمها في إطار معين، وبناء عليه فإن المنهج الوصفي يعني أسلوب أو طريقة لدراسة الظواهر الاجتماعية بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محددة لوضعية معينة اجتماعية أو مشكلة، أو سكان معينين"(18).

هـ- منهج دراسة الحالة: وهو المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحدة سواء كانت فردا أو مؤسسة أو نظاما اجتماعيا وهو يقوم على أساس التعمق في دراسة مرحلة معينة من تاريخ الوحدة أو دراسة جميع المراحل التي مرت بها وذلك بقصد الوصول إلى تعميمات متعلقة بالوحدة المدروسة وبغيرها من الوحدات المتشابهة.

ويتفق الكثير من الباحثين سواء كانوا أوروبيين أو أمريكيين على أن دراسة الحالة تعني دراسة وحدة مثل الأسرة أو القرية أو القبيلة أو المصنع دراسة مفصلة، مستفيضة للكشف عن جوانبها المتعددة والوصول إلى تعميمات تنطبق على غيرها من الوحدات المشابهة. ومن ثم يحاول الباحث أن يجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن هذه الحالة، وبخاصة تلك المعلومات التي تتصل بتاريخ

حياة الحالة، وتطورها، وما إن يفرغ الباحث من جمع هذه المعلومات الشاملة يحاول أن يحدد معالم الصورة الكلية بخبرات المبحوثين، وتجاربهم وأفكارهم خلال الزمن، وتفسير هذا الموقف الكلي"[19].

خامسا/ العينـــــــات

تعرف العينة على أنها جزء من الكل على أن يكون هذا الجزء ممثلا للكل بمعنى أنه يجب أن تكون العينة ممثلة للمجتمع المسحوبة منه تمثيلا صادقا حتى يتسنى للباحث استخدام بيانات ونتائج العينة في تقدير معالم المجتمع بشكل جيد، وهي أداة الدراسة ويتم اختيارها بطرق مختلفة وتسمى عملية اختيار العينة بـ"**المعاينة**".

للعينة أنواع مختلفة منها العينات العشوائية وتسمى بالعينة الاحتمالية وتقوم على إعطاء الباحث فرصا متساوية لكل الوحدات في تمثيل المجتمع الأصلي وعلى أساس ذلك ووفق طريقة احتمالية يختار الباحث عينة من الوحدات بشكل عشوائي وهو يعتقد أن الوحدات الأخرى لها الدرجة نفسها في تمثيل المجتمع الأصلي، نذكر منها:العينة العشوائية البسيطة، العينة العشوائية المنتظمة، العينة الطبقية، العينة العنقودية.

كما توجد العينات غير العشوائية وتسمى بالعينة المقيدة وهي عكس العينات العشوائية لا يعطي فيها الباحث فرصا متساوية لوحدات المجتمع الأصلي وهي ثلاث أنواع: العينة العرضية، العينة القصدية، العينة الحصصة. وللعينة إطار هي القائمة التي تدور فيها المفردات مثلا: قوائم الطلبة التي نجدها في المديرية البيداغوجية. وهي جزء من المجتمع يسحبه الباحث من المجتمع الذي يود أن يعمم عليه نتائج البحث، ويلجأ الباحث إلى العينة لعمليتها وفاعليتها وقلة تكلفتها، وتتكون العينة من مجموعة من الحالات وحتى يتم تعميم نتائجها على المجتمع ينبغي أن تكون ممثلة وتقتضي شرطين:

- ✓ **أن تتوفر على خصائص المجتمع الذي سحبت منه.**

✓ **أن تعطي الفرصة بالتساوي لجميع المفردات للظهور في العينة.**

ويوجد خلاف في حجم العينة المناسب، البعض يكتفي بـ **5 بالمائة** لكن حجمها يتحدد بكبر المجتمع أو صغره، فإذا كان المجتمع كبيرا كبرت العينة ولكن إلى حد ما والعكس. انسجام المجتمع أو عدمه فإذا كان المجتمع منسجما كانت النتائج دقيقة والعكس.

سادسا/ أدوات جمع البيانات

1) **الاستمارة**

تعرف الاستمارة بأنها "نموذج يضم مجموعة أسئلة توجه إلى الأفراد من أجل الحصول على معلومات حول موضوع أو مشكلة أو موقف، ويتم تنفيذ الاستمارة إما عن طريق المقابلة الشخصية أو أن ترسل إلى المبحوثين عن طريق البريد." **(20)**

كما تعرف بأنها مجموعة أسئلة بعضها مفتوح مثل: ما هو مستواك التعليمي؟ وبعضها مغلق مثل: هل تابعت أي نوع من التعليم؟ نعم ☐ لا ☐

وبعضها أسئلة تصنيفية مفتوحة مثل:

ما هو مستواك التعليمي؟ لا شيء ☐ أساسي ☐ ثانوي ☐

جامعي ☐ تكوين مهني ☐ أخرى.....

وتستخدم الاستمارة لجمع المعلومات والبيانات الميدانية التي تعسر جمعها عن طريق أدوات جمع البيانات الأخرى، ويجب أن تغطي الاستمارة جميع محاور البحث إذا كانت قد استخدمت كأداة بحث وحدها، وقد تخصص لبعض محاور البحث وبعض المحاور الأخرى تدرج في أدوات بحث أخرى كالمقابلة والملاحظة والوثائق والسجلات الإدارية.

هناك أنواع عديدة للاستمارة منها: الاستمارة بالمقابلة، الاستمارة البريدية، الاستمارة عبر الهاتف، الاستمارة عن طريق شبكة الإعلام الآلي (الإنترنت).

على الباحث أن يحدد ويضبط استمارة بحثه، **هل الاستمارة تشمل جميع محاور موضوع الدراسة؟** وحينئذ تكون المقابلة والملاحظة والوثائق والسجلات الإدارية عبارة عن أدوات بحث تكميلية للاستمارة وينحصر دورها في تفسير أو تعليل أو تحليل بيانات الاستمارة. أم **هل تشمل الاستمارة فقط بعض محاور موضوع الدراسة؟** وبالتالي فإن بقية المحاور الأخرى تغطيها أدوات البحث الأخرى من مقابلة ووثائق وسجلات إدارية، كما يمكن تبويب الاستمارة حسب محاور البحث أو حسب فرضيات الدراسة، كأن يقسم الباحث محاور بحثه حسب طبيعة البيانات المراد جمعها، فقد يكون للباحث أربع فرضيات مثلا وتكون طبيعة البيانات المراد جمعها الخاصة بالفرضية الثانية تلائمها المقابلة كأداة لجمع البيانات، وطبيعة البيانات المراد جمعها الخاصة بالفرضية الثالثة تلائمها الملاحظة كأداة لجمع البيانات، وطبيعة البيانات المراد جمعها الخاصة بالفرضية الرابعة تلائمها الوثائق والسجلات الإدارية كأداة لجمع البيانات [21].

ويفضل أن يختبر الباحث استمارة بحثه ليرى مدى ملاءمة الاستمارة لمحاور البحث من جهة، ومدى قدرتها على جمع البيانات وملاءمتها لأعضاء عينة البحث وظروفهم من جهة أخرى، وقد يؤدي هذا الاختبار إلى زيادة بعض الأسئلة أو حذف البعض الآخر أو إعادة صياغة البعض.

ويجب أن يحترز الباحث أثناء صياغته لأسئلة الاستمارة مما يلي:

- ✓ الأسئلة عن مواضيع حساسة لأنه قد لا يجيب المبحوث بصراحة.
- ✓ الأسئلة عن مواضيع تسوق المبحوث للإجابة نسبيا عن الأسئلة.
- ✓ الأسئلة التي تتطلب الإجابات التي تمس مبادئ ومواقف أو تصرفات المبحوث.
- ✓ الأسئلة التي تسوق إلى أجوبة مضللة كأن يجيب المبحوث عن سؤال بإجابة تتوافق مع ما يريده الباحث بهدف مداراته ومجاملته.

2) المقابلة

تعرف المقابلة على أنها: "تفاعل لفظي يتم عن طريق موقف مواجهة يحاول فيه الشخص القائم بالمقابلة أن يستسبر معلومات أو آراء أو معتقدات شخص آخر أو أشخاص آخرين للحصول على بعض المعلومات الموضوعية.[22]

وتجري المقابلة في شكل حوار (حديث) مع المبحوث في موضوع البحث. ويشترط أن يكون الحوار مبوبا ومنظما ومسيرا من طرف الباحث كما يفضل أن يقوم الباحث بتسجيل ملاحظات المبحوث وآرائه حول موضوع البحث.

- أنواع المقابلة

المقابلة المقننة: وفيها يضع الباحث أسئلة كل محور في المقابلة.

المقابلة غير المقننة: وفيها لا يضع الباحث أسئلة المحاور، إذ لا يقيد الحديث ولكن فقط يحدد محاور الحديث عن الموضوع.

ويخضع اختيار المقابلة المقننة أو غير المقننة إلى طبيعة الموضوع. فهناك الموضوع المحدد وغير المتشعب الذي يستطيع الباحث فهم جميع أبعاده وبالتالي حصرها في أسئلة وعليه فهو بحاجة إلى المقابلة المقننة، ولكن هناك الموضوع الذي لا يستطيع الباحث حصر أبعاده ولذلك يترك الحديث مفتوحا وبالتالي فهو بحاجة إلى المقابلة غير المقننة.

- طرق المقابلة

المقابلة المباشرة: وفيها يلتقي الباحث مع المبحوث مباشرة ويتم الحوار بشكل مباشر.

المقابلة غير المباشرة: وفيها يجري الباحث الحوار مع المبحوث عن طريق الهاتف أو الاتصال الآلي (الإنترنت).

د- مميزات المقابلة: عموما تكون المقابلة مع عدد قليل من الأفراد، كما تتميز بإعطاء حرية الحديث للمبحوث والوقت الكافي، وحرية الحديث لا تعني أن يتكلم

المبحوث كما يشاء وما يشاء، ولكن يجب أن تكون المقابلة مضبوطة ومحددة بدقة وخاصة بالمحاور المخصصة لهم بالمقابلة، وعلى الباحث مراقبة وتوجيه حديث المبحوث لمحاور المقابلة، كما يجب عليه أيضا مراقبة وتوجيه الوقت النافع الذي يخدم محاور المقابلة وهدف البحث.

3) الملاحظة

تعتبر إحدى أدوات جمع البيانات وتستخدم في البحوث الميدانية لجمع البيانات التي لا يمكن الحصول عليها عن طريق الدراسة النظرية أو المكتبية، كما تستخدم في البيانات التي لا يمكن جمعها عن طريق الاستمارة أو المقابلة أو الوثائق والسجلات الإدارية أو الإحصاءات الرسمية والتقارير أو التجريب ويمكن للباحث تبويب الملاحظة وتسجيل ما يلاحظه الباحث من المبحوث سواء كان كلاما أو سلوكا.

وهناك أنواع للملاحظة منها الملاحظة البسيطة ويقصد بها ملاحظة الظواهر كما تحدث تلقائيا في ظروفها العادية دون إخضاعها للضبط العلمي، وبدون استخدام أدوات دقيقة للقياس بغية الدقة في الملاحظة والتحلي بالموضوعية، الملاحظة المنظمة وتختلف عن الأولى في الضبط العلمي والفحص الموضوعي والتحديد الدقيق للظواهر والمعالم التي تخصص الملاحظة لها.

تتم الملاحظة بطرق مختلفة منها الملاحظة بدون مشاركة وفيها يلاحظ الباحث عينة بحثه بطريقة غير مباشرة وبدون أن يشارك أعضاء عينة البحث في عملهم. فالباحث عضو خارج عينة البحث يلاحظ من بعيد وفي وقت قصير، فالملاحظة بهذه الطريقة لا تدوم شهورا أو سنينا. والملاحظة بالمشاركة وفيها يندمج الباحث مع عينة بحثه ويصبح مصاحبا لأفرادها في معظم الأوقات، أي أنه يلاحظ سلوكهم في موضوع بحثه وهو يشاركهم أيضا بقية أعمالهم وأوقاتهم، وقد تدوم الملاحظة بالمشاركة أشهرا أو سنوات كأن يعمل الباحث أو يدرس مع عينة بحثه.[23]

سابعا/ الوثائق والسجلات الإدارية: تعتبر إحدى أدوات جمع البيانات، وفيها يرجع الباحث إلى جمع البيانات حول الموضوع ككل أو فقط بعض المحاور من الوثائق والسجلات الإدارية، ويشترط عدم التكرار في جمع البيانات فإما أن تكون البيانات المجمعة من الوثائق والسجلات الإدارية بيانات تكميلية للاستمارة والمقابلة والملاحظة أو لبعضها فقط، ووظيفتها تكميلية في التحليل والتفسير والتعليل، وإما أن تكون البيانات المجمعة تتعلق ببعض محاور البحث التي لا تمسهم أدوات جمع البيانات الأخرى.

ثامنا/ الإحصاءات الرسمية والتقارير

خلاصة

نخلص في الأخير إلى القول أن البحث في العلوم الاجتماعية يحتاج إلى منهجية علمية دقيقة ترتكز هي بدورها على أسس صحيحة حتى نصل بالبحث العلمي في هذا المجال إلى الدقة العلمية التي يرجوها أي باحث في ميدان البحث العلمي، ولهذا فإن التركيز على فهم واستيعاب الخطوات العلمية الأساسية للقيام بأي بحث والقدرة على تطبيقها بشكل دقيق يعد ضرورة حتمية لنجاح الباحث في دراسته العلمية وتقديمها في صورة سليمة ومميزة.

❖ هوامش البحث

(1) فضيل دليو وآخرون: **أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1999، ص ص 69، 73.

(2) بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني: **منهجية العلوم الاجتماعية**، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 2012، ص 95.

(3) المرجع نفسه، ص96.

(4) عبد الرحمان عدس وآخرون: **البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه**، دار الفكر للنشر والتوزيع.، عمان ، الأردن، ص ص62،63.

(5) فضيل دليو وآخرون: مرجع سابق، ص 74.

(6) رؤوف إبراهيم عبد الخالق: **التصاميم التجريبية في الدراسات النفسية والتربوية**، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2001، ص 134.

(7) ربحي مصطفى عليان وآخرون: **مناهج وأساليب البحث العلمي: النظرية والتطبيق**، دار صفاء للنشر، عمان، الأردن، 2000، ص 70.

(8) سالم عيسى بدر: **دليل الباحث في اختبار الفرضيات**، دار الفكر ، عمان، الأردن، 2009، ص ص 9 ، 15.

(9) موريس أنجرس، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، تدريبات عملية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخران، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص ص 157،161.

(10) عمار بوحوش ومحمد محمود الذنيبات: **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث**، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001، ص ص 99، 102.

(11) موريس أنجرس، مرجع سابق،ص37.

(12) بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني: **المناهج الأساسية في العلوم الاجتماعية**، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، 2012، ص61.

(13) عامر مصباح، **منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2008، ص ص 13، 92.

(14) بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني: **المناهج الأساسية في العلوم الاجتماعية**، مرجع سابق، ص 42.

(15) صلاح الدين شروح: **منهجية البحث العلمي**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص ص 85،112.

(16) بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني: **المناهج الأساسية في العلوم الاجتماعية**، مرجع سابق، ص 28.

(17) حسين عبد الحميد رشوان: **العلم والبحث العلمي، دراسة في مناهج العلوم**، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1995، ص33.

(18) بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني: **المناهج الأساسية في العلوم الاجتماعية**، مرجع سابق، ص93.

(19) المرجع نفسه، ص 107.

(20) محمد علي محمد: **علم الاجتماع والمنهج العلمي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1983، ص 339.

(21) DICTIONNAIRE DE SOCIOLOGIE. P436 LE ROBERT SEUIL.

(22)

إبراهيم لطفي: **أساليب وأدوات البحث الاجتماعي**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1994، ص ص 85، 86.

(23) غريب محمد سيد أحمد: **تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1989، ص 268.